المسجد النبوى الشريف

فى العصر العثمانى ٩٢٣ـ١٣٤٤هـ

« دراسة معمارية حضارية »

الدكتور

محمد هزاع الشهرى

دار القاهرة للكتاب

١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة

ت ٣٩٢٩١٩٢

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتاب	المسجد النبوى الشريف فى العصر العثمانى
اسم المؤلف	الأستاذ الدكتور / محمد هزاع الشهرى
رقم الطبعة	الأولى
رقم الإيداع	١٠٥٤٢
الترقيم الدولى	I. S. B. N 977 - 6048 - 07 - 2
سنة النشر	٢٠٠٣
الناشر	دار القاهرة
عنوان الناشر	١١٦ ش محمد فريد ـ القاهرة
بلد الناشر	القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
التليفون	٣٩٢٩١٩٢ ـ ٠١٢/٣١٧٧٥١٠
فاكس	٣٩٣٣٩٠٩ ـ ٣٩٢٩١٩٢

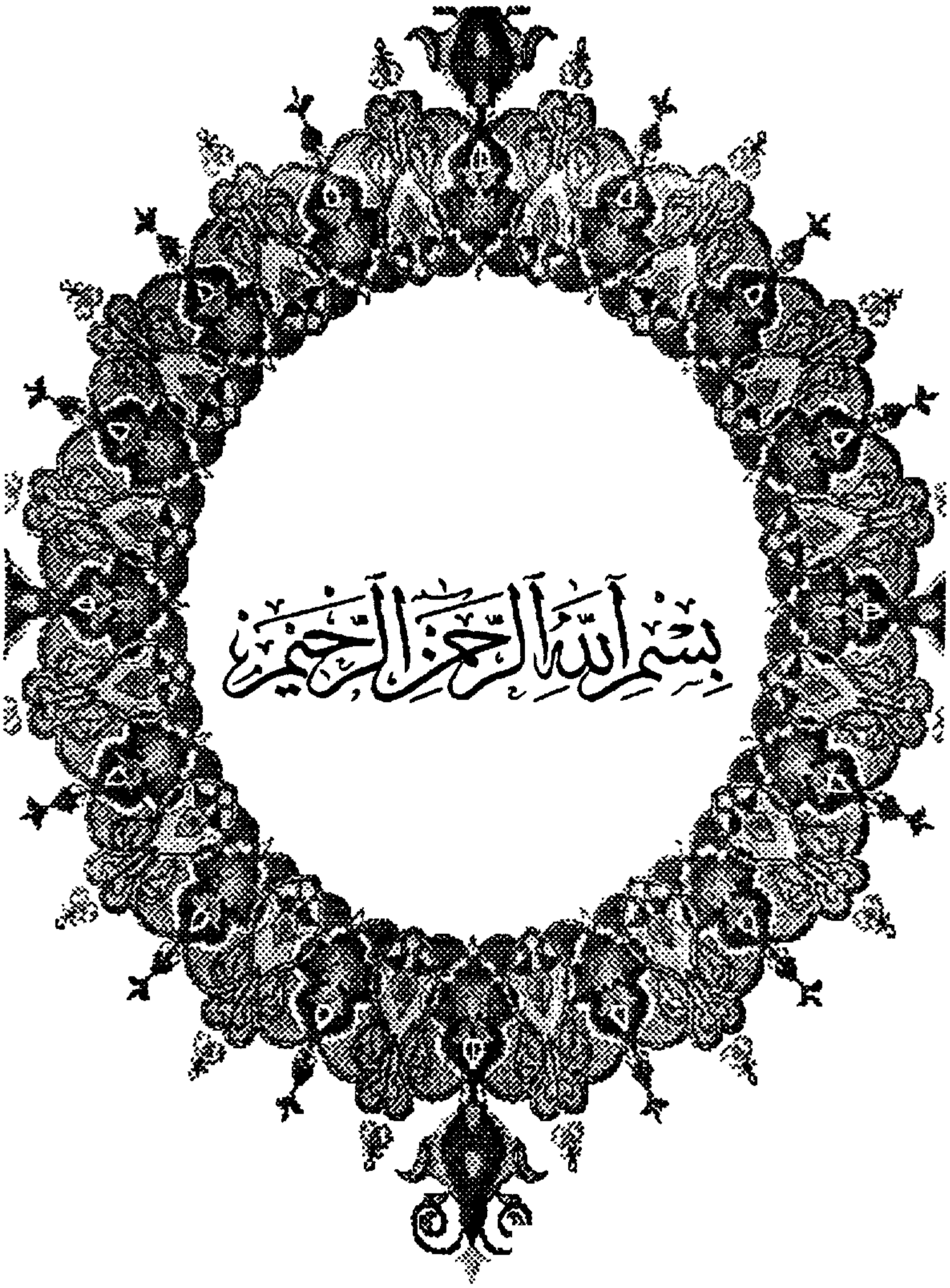
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تمهيد - عرض موجز لتاريخ المسجد النبوى قبل العصر العثمانى

قام النبى ﷺ بتأسيس المسجد النبوى ، الشريف بعد دخوله المدينة المنورة ، فى الموضع الذى اتخذه الأنصار قبل الهجرة المعطرة لأداء فريضة الصلاة . وكان محاطا فى بداية الأمر بسور منخفض ، يحدد اتجاه القبلة إلى بيت المقدس ، ويمنع امتهان الدواب له ؛ ثم دعت الحاجة إلى حماية المصلين من حرارة الشمس وهطول المطر. فاستحدث ﷺ بمقدمه سقفا من جذوع النخل وسعفه ، وصار له حينئذ ثلاثة أبواب ، هى باب الرحمة فى الجانب الغربى وباب آل عثمان (باب جبريل فيما بعد) فى الجانب الشرقى ، وباب فى مؤخرته .

وقد شهد المسجد الشريف بعض التغييرات المعمارية الهامة بعد تحويل القبلة فى النصف الأول من السنة الثانية للهجرة ، فأغلق الباب الذى كان فى منتصف جداره الجنوبى ، بعد نقله إلى ما يحاذيه من الجدار الشمالى ، ونقلت ظلة القبلة إلى الجنوب ، بعد أن خصصت الظلة الأولى لمبيت فقراء المسلمين ، وصار له آنذاك ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة ، ثم زيد فى مساحته بعد غزوة خيبر سنة ٧هـ / ٦٢٨م ، فتطلب الأمر رفع جدرانه واطالة أعمدته ، وصارت أبواب حجرات أمهات المؤمنين تفتح مباشرة فى المسجد النبوى الشريف وذلك بعد إضافة الطرقة التى كانت تفصلها عنه ، وكانت مساحته آنذاك مربعة الشكل (١٠٠ × ١٠٠ ذراع) .

وقد احتفظ المسجد الشريف بهذا البناء طيلة حياة الرسول ﷺ ، وحياة خليفته الأول ، ثم دعت الحاجة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إلى توسعته وتجديد عمارته بما يوافق البناء الذى كان فى عهد رسول الله ﷺ ، فشرع سنة ١٧هـ / ٦٣٨م فى تقديم جدار القبلة بمقدار بلاطة واحدة ، وزاد ثلاث بلاطات فى شماله ، وبلاطتان فى غربه ، فجاء مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب ١٤٠ ذراعا ، ومن الشرق إلى الغرب ١٢٠ ذراعا ، وارتفاع سقفه حوالى ١١ ذراعا ، وقد أضاف له ثلاثة أبواب أخرى ، أحدها فى الطرف الشمالى من الجدار الشرقى وسماه باب النساء ، والآخر فى الطرف الجنوبى من الجدار الغربى

وسماه باب السلام ، والثالث فى الجانب الشمالى .

أما سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فغير من شكل العمارة التى قام بها سنة ٢٩هـ/٦٤٩م ، فبناها بالأحجار المنحوتة والقصة بدلا من اللبن ، وأبدل جذوع النخل باسطوانات الحجر المدورة ، وزاد فى مقدم المسجد الشريف بلاطة واحدة ، ومثلها فى الجانب الغربى ؛ ثم بلاطتان فى الشمال ، فجاء المسجد أيضاً مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ ذراعا ومن الشرق إلى الغرب ١٣٠ ذراع ، ولم يزد أو ينقص فى عدد الأبواب .

هذا عن عمارة المسجد النبوى فى عهد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، أما فى عهد الدولة الأموية ، فكان موضع عناية الوليد بن عبد الملك المولع ببناء المساجد . فكلف عمر بن عبد العزيز واليه على الحجاز آنذاك ، بتوسعة المسجد الشريف سنة ٨٧هـ / ٧٠٥م ، وادخال حجرات أمهات المؤمنين فيه ، بعد موت آخرهن وهى ميمونة بنت الحارث سنة ٦٢هـ / ٦٨١م . فشملت التوسعة الجانب الغربى والشرقى والشمالى وشىء من الجانب القبلى مما يلى المواجهة الشريفة ، حتى صار طوله على أصح الروايات ، من الشمال إلى الجنوب ١٦٧٫٥ ذراعا ، ومن الشرق إلى الغرب ١٤٧ ذراعا ، ولم يغير شيئا من أبوابه الأساسية ؛ بل أحاط صحنه المكشوف لأول مرة بالأروقة الجانبية . واستحدث فيه محرابا ومقصورة وثلاث منائر ، وزينه بالشرافات ، وزخارف الفسيفساء الجميلة ، بالإضافة إلى الكتابات المتعددة ، والسقوف المنقوشة .

أما فى عهد الدولة العباسية ، فكان المهدى أول من زاد فى المسجد الشريف مما يلى مؤخرته ، وذلك فى سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م ، وقد جاءت معادلة لزيادة الوليد ابن عبد الملك ، ومشابهة لها من حيث الزخرفة والبناء ؛ ما عدا المنارتين الشماليتين فقد جعلتا على هيئة الأبراج الصغيرة ، كما زاد فى عدد أبوابه حتى بلغت عشرين بابا. وتعرض المسجد الشريف فى أواخر الدولة العباسية سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ، لحريق مدمر أباد جميع زخارفه ونقوشه وتحفه ، حتى تعذر على الدويلات التى أسهمت فى بنائه بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، إعادة

عمارة المسجد النبوى أو زخارفه ، إلى ما كانت عليه قبل الحريق أو قريب منها ... ورغم العناية التى أبداها الظاهر بيبرس ، فى بداية دولة المماليك البحرية ٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ / ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢م ، فى استكمال ما تبقى من بناء المسجد النبوى سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م ، فإن خصائص ومميزات العمارة المملوكية لم تزل آنذاك فى طور التكوين والبناء . مما حد من ظهور طراز مملوكى مميز . إلا أن المسجد الشريف احتفظ بعد هذه العمارة بالأبواب التى كان عليها فى العصر الأموى وهى باب السلام وباب الرحمة وباب جبريل وباب النساء .

أما الأعمال التى قام بها المنصور قلاوون ، فتتمثل فى إنشاء قبة الحجرة الشريفة ، من الخشب الملبس بالرصاص ، كما أنشأ قرب باب السلام ميضأة بعدد من صنابير الماء ، وأيضًا قام ابنه الناصر محمد بن قلاوون ، بعدة أعمال يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ تسقيف الروضة المطهرة سنة ٧٠١هـ / ١٣٠١م .

٢ ـ تجديد سقفى الرواقين (المجنبتين) الشرقى والغربى سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م ، ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م .

٣ ـ بناء منارة باب السلام لأول مرة سنة ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م .

٤ ـ أضاف إلى رواق القبلة بلاطتين موازيتين لجدار القبلة ، مما يلى صحن المسجد الشريف .

كما شهد المسجد الشريف فى أواخر عصر المماليك البحرية عدة أعمال كان أهمها ما قام به السلطان حسن بن الناصر قلاوون ، من تجديد قبة الحجرة الشريفة سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م . ثم قام الأشرف شعبان بإعادة تجديدها مرة ثانية سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٣م ، كما أعاد أيضًا سنة ٧٧٦هـ / ١٣٦٥م تجديد شرافات المسجد لأول مرة بعد الحريق الأول .

هذا عن أهم الأعمال التى قام سلاطين المماليك فى الحرم النبوى الشريف ، أما فى عهد المماليك الجراكسة ٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ / ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م ، فقد

حفل الجزء الأول من عهدهم بكثير ، من أعمال الترميم والتجديد ، فجدد السلطان برقوق منبر الظاهر بيبرس سنة ٧٩٨هـ / ١٣٩٥م ، وقام المؤيد شيخ باستبداله سنة ٨٢٠هـ ١٤١٧م ، بمنبر جميل من صناعة الشام ، كما أقر الأشرف برسباى سنة ٨٣١هـ / ١٤٢٧م قيام أحد العلماء ، بتسمير أبواب السياج الذى أحدثه الظاهر بيبرس على الحجرة الشريفة ، ومنع الناس من دخول الحجرة الشريفة ، ما عدا المكلفين بتنظيف الحجرة وإسراج قناديلها . كما جدد فى السنة ذاتها البلاطتين اللتين أضافهما الملك الناصر محمد بن قلاوون فى مؤخرة رواق القبلة ، وكذلك شيئا من السقف الشمالى ، مما يلى المنارة السنجارية الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى .

وفى سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م قام الظاهر جقمق ، بإصلاح التلف الذى أصاب سقف الروضة المطهرة ، وبعض الأماكن المتفرقة من سقف المسجد الشريف، ثم أحدث لباب الحجرة الشمالى رفرفا لحمايتها من الشمس ، وفرش أرضه بالرخام الجميل . وفى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م استحدث رحابا فسيحة أمام أبواب المسجد ليتمكن الناس عندها من خلع أحذيتهم .

أما عهد الأشرف إينال ، فقد قام أتباع المذهب الحنفى سنة ٨٦١هـ / ١٤٥٦م، باستحداث محراب مجوف داخل الرواق القبلى ، بمعرفة الأمير طوغان شيخ الأحمدى . وفى نهاية عهد المماليك الجراكسة جدد الأشرف قايتباى سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م فى عمارته الأولى ، عقود الرواق الشرقى وسقفه وبعضا من جداره ، وأعيد تجديد سقف الروضة الشريفة سنة ٨٨١هـ / ١٨٧٦م ، وكذلك السقف الممتد من المنارة الرئيسية إلى باب النساء ، كما هدم البناء المحدث فوق الحجرة الشريفة ، والذى أقيم بعد الحريق الأول سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ، وجدده بأحجار وعقود قوية ، ثم بنى فوقه قبة من الحجر الأسود والأبيض ، فى مدة وجيزة لم تتجاوز ٥٣ يوما ، وبقدر ارتفاعها عن سطح الأرض بحوالى عشرة أمتار .

أما العمارة الثانية التى قام بها الأشرف قايتباى ، فكانت أثر حريق نتج عن إصابة صاعقة لأعلى المنارة الرئيسية ، قبل صلاة الصبح فى اليوم الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٨٨٦هـ / ١٤٨١م ، وتسبب فى تدمير سقوف المسجد المكونة

من طبقتين من الخشب ، ولهذا فقد بذل الأشرف قايتباى جل عنايته فى بناء المسجد الشريف . فكلف ناظر عمارته الأولى الأمير شمس الدين بن الزمن ، بالذهاب إلى المدينة المنورة والإشراف على العمارة الجديدة ، فقام بهدم الجدران المحيطة بالرواق القبلى ، وأعاد بنائها بعد أن زاد فى الجانب الشرقى حوالى ١٢٠ مترا مربعا . كما جدد بناء المنارة الرئيسية ، وأعاد تسقيف الرواق القبلى بالخشب ، بعد استحداث عدة عقود موازية لجدار القبلة ، وعبارات من الخشب متعامدة عليها. ثم اضاف لها ثمان قباب فى أجزاء متفرقة من الرواق (الشكل رقم ٣١). واستحدث منورا قرب المنارة الرئيسية ، وسقف الرواق الشمالى وكذلك الشرقى والغربى ، بالخشب المحمول على عبارات ترتكز فوق تيجان الأعمدة ، وقد أبقى ابن الزمن على القبة الموضوعة فى العمارة الأولى فوق القبور الشريفة ، وأبدل قبة الخشب التى أحدثها المنصور قلاوون بقبة عالية ، ترتكز على أكتاف واسطوانات عديدة ؛ وقد تميزت بطول رقبتها وكثرة فتحاتها تمشيا مع السمات المشتركة للقباب المملوكية . ثم خفض أرض الرواق القبلى وردم بهما الدكتين المحدثتين فى الرواق الشرقى والغربى ، وكانتا أخفض من دكات الرواق الشمالى المحدثة قبل هذا العهد .

وفصل جدار القبلة الأول ، بسياج من الخشب المخروط ، عن البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان فى مقدمة الرواق القبلى ؛ ثم قام فى نهاية العمارة بكسوة جدران المسجد وبعض أساطينه بطبقة سميكة من الملاط ، وزخرف سقف المسجد وقبابه بالذهب واللازورد ، وميز جدار القبلة ومحاريب المسجد الثلاثة باستخدام الرخام فى النقوش الكتابية والهندسية ، ثم زود المسجد بمنبر من الرخام المجزع . وأحيطت الحجرة الشريفة بمشبك من الحديد المترابط على هيئة فروع الشجرة وأوراقها .

أما أبواب المسجد الأربعة فظلت على ما كانت عليه من قبل ، إلا أن مصاريعها جددت بخشب ثمين ، وحليت بقطع النحاس المنقوشة بمختلف الزخارف، ثم زود المسجد بعد اكتمال العمارة سنة ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م ، بعدد من كتب العلوم المختلفة ، وأنواع ثمينة من الشمعدانات والقناديل ، بالإضافة إلى

السجاجيد الفاخرة . وقد مالت المنارة الرئيسية فى سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م، وتشققت قبة الحجرة الشريفة من أعلاها ، فقام الأمير شاهين الجمالى بهدم المنارة المذكورة من أساسها ثم بناها بالهيئة التى هى عليه اليوم ، كما نقض الجزء العلوى من القبة وقصر من ارتفاعها بعض الشئ ، وبناها بإحكام شديد حتى أنها لم تتأثر بالصاعقة التى أتلفت الجزء العلوى من المنارة الرئيسية سنة ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م. وقد أمكن اصلاحها فى أسرع وقت ، أما فى عهد الغورى فإن تلبيس القبة الشريفة بألواح الرصاص على يد المعمار (المهندس) خايربك ، كان بمثابة آخر أعمال السلاطين المماليك فى الحرم النبوى الشريف .

وبناء على ما تقدم ، فقد ظل المسجد النبوى الشريف محتفظا بالعمارة التى قام بها الأشرف قايتباى بعد الحريق الثانى ، والمتصفة بخصائص ومميزات العمارة المملوكية ، حتى قام العثمانيون بالقضاء على دولة المماليك ، وإدخال بعض سمات العمارة العثمانية بدءا من عهد السلطان سليمان القانونى كما يتضح من الفصول. والأبواب التالية .

الباب الأول

الأعمال المعمارية

الفصل الأول

تاريخ الأعمال المعمارية قبل عهد السلطان عبد المجيد

٩٢٦ ـ ١٢٥٥هـ / ١٥١٩ ـ ١٨٣٩م

الفصل الأول

تاريخ الأعمال المعمارية قبل عهد السلطان عبد المجيد

١ ـ أعمال السلطان سليمان القانونى ٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ / ١٥١٩ ـ ١٥٦٦م

أسهم العثمانيون قبل استيلاء السلطان سليم الأول على مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ، فى تقديم الصدقات إلى الحرمين الشريفين ، وكان السلطان محمد الأول (٨١٦ ـ ٨٢٥هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٢١م) ، أول من أرسل الصـــرّ[١] لأهل الحرمين[٢] ، ثم خلفـــه السلطان مـــراد الثـــانى (٨٢٥ ـ ٨٥٦هـ) ١٤٢١ ـ ١٤٥٢م، فعين من ماله الخاص لأهل الحرمين كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار ؛ « وللشرفاء »[٣] مـثل ذلك . وفى سنة ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م ، حج أحـد وزرائه ، فأمد أهل الحرمين بالأموال الوفيرة والصدقات الجمة [٤] .

أما السلطان بايزيد الثانى (٨٨٦ ـ ٩١٨هـ) ١٤٨١ ـ ١٥١٢م ، فتمثلت محبتـه لسكان المدينتين المقدستين ، فى ترتيب الصرّ لهم فى كل عـام ، وفى تخصيص أربعة عشر ألف دينار لفقهاء مكة والمدينة [٥] ، وعقب انتصار السلطان سليم الأول (٩١٨ ـ ٩٢٦هـ) ١٥١٢ ـ ١٥١٩م، على المماليك وتلقبه بخادم

---

(١) الصرّ مأخوذ من صر الدراهم وتوزيعها فى أكياس صغيرة لحفظها وتسهيل نقلها ، انظر أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م جـ٤ ص ٤٥٢ والمقصود بها هنا قطع النقد الذهبية والفضية المرسلة من مصر والقسطنطينية فى أكياس لفقراء مكة والمدينة وموظفيها . انظر إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م جـ٢ ص ٧ .

(٢) قطب الدين النهروالى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . طبعة غتنغة ١٢٧٤هـ ، ص٢٥٦ . .

(٣) القطبى ، المصدر نفسه ، ص٢٥٦ ويقصد بالشرفاء السلالة الطاهرة من أولاد الحسن والحسين ويعرف أحفاد الحسن بالأشراف وأحفاد الحسين بالسادة . انظر محمد صادق باشا : دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج . الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ١٣١٣هـ ص ٦٥ .

(٤ ، ٥) القطبى : المصدر السابق ، ص ١٩١ ،٢٦١

الحرمين الشريفين فى احتفال دينى مهيب [١]، استقبل سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م بالفرح والسرور مفاتيح الحرمين الشريفين ، التى حملها إليه ابن شريف مكة ، وأعادها لوالده بعد أن أجزل لهما العطاء ، وأقرهما على شرافة مكة [٢]. وأمد سكان الحرمين الشريفين بمبالغ نقدية وعينية ، كما أقر لهم مال الذخيرة المعين لهم من خزائن مصر فى عهد المماليك[٣]، والمعروف طيلة العصر العثمانى «بإخراجات الحرمين الشريفين» ، « وصرة أهالى الحرمين الشريفين » ، وتخصص الأولى لشراء المواد اللازمة للحرمين كالزيت والشمع ومرتبات بعض الوظائف ، وتدفع الثانية لبعض الأشراف والمستحقين من سكان مكة والمدينة [٤].

وعندما جاء السلطان سليمان إلى الحكم (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) ١٥١٩ ـ ١٥٦٦م، ضاعف ما كان يبعث به والده من الصدقة الرومية ، وضبطها فى السجلات المقررة لهذا الوقف من عهد السلطان سليم [٥].

أما المدينة المنورة فقد حظيت منه باهتمام كبير ، فخصص مال الجوالى لأهل الوظائف فى الحرم النبوى [٦]، وسبق غيره فى تخصيص ٢٥٠٠ دينار ، كوقف نقدى يخصص لإقراض المحتاجين من أهل الوظائف ، فى المدينة حتى ترد

---

(١) تذكر المصادر فرح السلطان عند سماعه للخطيب فى صلاة الجمعة ، وهو يضفى عليه لقب خادم الحرمين الشريفين . ومن المعروف تلقب سلاطين المماليك ومن قبلهم الأيوبيين والعباسيين بهذا اللقب ، انظر حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٢٦٧ ـ ٢٧٠ .

(٢) أحمد بن لطف الله ، صحائف الأخبار ، مخطوط بمكتبة طوبقبى باستانبول برقم ٢٩٥٤ جـ٢ لوحة ٥٣٨ أ .

(٣) القطبى : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ، إبراهيم رفعت : المصدر السابق ، جـ٢ ص ٣٠٩ .

(٤) أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج تحقيق ليلى عبد اللطيف ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٨٠م ص ٢٧ .

(٥) القطبى : المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٤ .

(٦) يذكر القطبى فى نفس المصدر ص ٣٣٣ أن مال الجوالى كان معروف فى عهد المماليك ، وهو ما يؤخذ من الذميين المقيمين فى البلاد الإسلامية ، إلا أن السلطان سليم خصصه لأجل نقاوته لأهل الوظائف ، والمتقاعدين المقيمين فى الحرمين ومصر .